عوامل الانحراف والاتجاهات النظرية المفسرة للسلوك الانحرافي

الأستاذة بوزبرة سوسن، جامعة تيارت

الأستاذ الدكتور العربي اشبودن، جامعة الجزائر 2

ملخص:

إن الانحراف من الظواهر الاجتماعية الخطرة على الفرد والمجتمع على حد سواء، فهي بشكل عام تهدم النظام الاجتماعي وتهدد مستقبل الأمم، من ذلك جاءت ضرورة دراساتها والبحث عن أسبابها والخروج بحلول تقضي أو حتى تقلل من حدتها.وقد اختلفت الاتجاهات والنظريات التي تعمد إلى تفسير السلوك المنحرف كل حسب العوامل التي يرى أنها سبب في قيام الفرد بالسلوك الانحرافي، فمنهم من يأخذ بالتفسير الذاتي للفرد راجعا بذلك لعوامل داخلية تتصل بالتكوين الشخصي: الجسماني، العقلي أو النفسي، محاولا البحث في سبب السلوك الإجرامي في داخل الفرد نفسه، بينما هناك من يأخذ بالتفسيرات الاجتماعية ويرجع بذلك السلوك الانحرافي إلى الظروف الاجتماعية والبيئة المحيطة كالأسرة، المدرسة، الرفاق، والظروف المادية والمعيشية الخاصة بهذا الأخير ، وتعمد مجموعة أخرى إلى الربط بين الاتجاهين السابقين وتكاملهما في تفسير السلوك الانحرافي، باعتبار السلوك المنحرف هو نتاج لمجموعة من العوامل وإن كان دائما هناك عوامل رئيسية وأخرى ثانوية. من هنا تأتي ضرورة البحث في هذه العوامل المسببة واعتماد التفسير المناسب من أجل تدارك السلوك المنحرف وتقويمه لتأهيل الفرد ليصبح فردا سليما في مجتمعه.

الكلمات المفتاحية: الانحراف-عوامل الانحراف-الاتجاهات.

Abstract : Deviance is a dangerous social phenomenon both on the individual and his society. It even destroys the social system and threatens the future of nations. The just the importance of the study is end to draw the solutions or at least minimize its severity.

And it might have been different trends and theories that deliberately to interpret deviant behavior, each according to factors that are seen as the reason for the establishment of individual behavior deviant. Some of them take self-interpretation of the individual due this internal factors related to the composition of Profile: physical, mental or psychological, trying to search into the cause of behavior criminal within the same individual, while there are those who take the social interpretations and because so deviant behavior to social conditions and the surrounding environment, such as family, school, comrades, and the physical conditions and living conditions for the latter, and deliberately another group to the linkage between the former two-way and their integration in the interpretation of behavior deviant, as deviant behavior is the product of a combination of factors and whether there are always key factors and other secondary.

Hence the need for research in these causal factors and the adoption of appropriate interpretation in order to remedy the deviant behavior and evaluation to qualify the individual to become healthy individuals in the community.

key words: Deviation -Deviation factors- Trends theory unexplained deviation

إنالانحراف ظاهرة اجتماعية كانت، لا تزال وستبقى موضوعا خصبا للباحثين في العلوم السلوكية والاجتماعية، باعتبارها مشكلة حساسة تعاني منها مختلف دول العالم باختلاف درجة تقدمها والأكثر من ذلك فإن هذا الاختلاف يكمن حتى في المجتمع الواحد باختلاف المناطق والعادات والتقاليد.

فالجريمة والانحراف في المجتمع ليست ظاهرة حديثة العهد، بل عانت منها المجتمعات القديمة، وعرفتها التشريعات في مختلف العصور عن طريق منع ارتكاب بعض الأفعال التي تشكل اضطرابات وخطورة على المجتمع والعلاقات السائدة فيه، واختلفت نظرة التاريخ الاجتماعي لهذه الظاهرة بحيث انتقلت من الاعتبار الغيبي في العصور القديمة والوسطى، بتفسير سلوك الفرد المنحرف بسيطرة الأرواح الشريرة عليه وتحكمها في أفعاله، واعتباره شخصا خطرا على محيطه ويجب معاقبته وإبعاده عن المجتمع، ثم مند منتصف القرن السابع عشر بدأت الاتجاهات العلمية تظهر في تفسير السلوك المنحرف، خاصة مع تطور الطرق العلمية للبحث والدراسات، وزيادة الاهتمام بالعوامل الداخلية والاجتماعية للفرد، كل حسب الزاوية التي ينظر منها.

فبذلك اتجه الباحثون لاعتبار المنحرف والمجرم شخصا يعاني من ظروف معينة وأسباب جعلته يقوم بسلوكات معينة، لذا ستوجب علاجه وتأهيله من خلال البحث في الأسباب والعوامل الخفية وراء ذلك السلوك وتهيئة الظروف الملائمة من اجل تقويمه وجعله فردا صالحا في مجتمعه.

لذا نطرح التساؤل الذي من خلاله نتعرف على ماهية الانحراف؟ وكيف يفسر السلوك المنحرف وما العوامل التي تدفع بالفرد للقيام به؟

1- ماهية الانحراف:

عرف لغوياعلى أنه الخروج عن المعتاد والمألوف، مال عن الاعتدال، ويقصد به السلوك الإنساني غير السوي[1].

كما أن هذا المصطلح مستعمل في مجال الرياضيات والإحصاء، ويقصد به في هذا المجال التحول عن الاتجاه، أو المعيارإلا أنه بمعناه الوصفي داخل ميدان العلوم الإنسانية والاجتماعية، يُقصد به السلوك الإنساني غير السوي. كما يعني أيضا الخروج البين عن الطريق السوي المعتاد والمألوف، وهو ما يجعل هذا السلوك غير مقبول اجتماعيا، لأنه لا يتماشى مع القيم والعادات والتقاليد التي يعتمدها المجتمع في تحديد سلوك أفراده أي " ذلك السلوك غير المتوافق أو يحتمل أن يؤدي إلى عدم التوافق أي القيام بسلوكيات لا تتماشى مع ما يعتمده المجتمع في تحديد سلوكيات أفراده "[2].

أيضا نقصد به "جملة من السلوكيات الفردية أو الجماعية التي تبتعد عن معايير المجتمع فتخلق خلل وظيفي ينجم عنه عقوبة "[3].

حيث أن كل مجتمع ينظم معاييره الخاصة وفق قوانين ضمنية أو ظاهرة تحكمه ولهذا فالمفهوم الدقيق للانحراف يختلف من مجتمع إلى أخرى بحيث أنه يشير بصفة عامة إلى النظام الاجتماعي السائد في ذلك المجتمع من خلال تحليل السلوكيات التي هي مغايرة عن ما هو معمول به، والتقسيم المجمع عليه في المجتمعات الحديثة في فرز الانحراف كما يلي[4]:

1- **الانحراف العرضي**: وهو الذي يمثل أكثر الأصناف الانحرافية تعقيدا من حيث أن المنحرف العرضي لا يتميز بحياة انحرافية ظاهرة، فهو شخص سوي متوافق مع المعايير الاجتماعية والأخلاقية السائدة في مجتمعه، إلا أن قدراته تضعف إزاء بعض الضغوط الشديدة الطارئة أحيانا، في فترة ما من حداثته بحيث يرتكب أفعالا إجرامية أو يسلك سلوكا منحرفا.

2- **الانحراف المحترف**: أي أنه يرتكب للفعل بهدف تحقيقه هدف مادي معين للحصول على ربح أو منفعة مادية بالدرجة الأولى، وبصورة مباشرة فالرغبة هي البعث الأساسي الذي يقف وراء المنحرف المحترف.

3- **الانحراف المنظم**: وهو الذي يقوم على قاعدة جماعية، أي من خلال تنسيق عمل جماعي، ويرى بعض العلماء أن التنظيم الانحرافي وليد صراعات اجتماعية وحصيلة توترات نفسية حادة يعاني منها الأحداث، فهو مرآة تعكس مثل هذه الخلفيات النفسية والاجتماعية للأحداث.

4- **الانحراف الجماعي**: هو ذلك التجمع البشري العضوي الذي لا يرتبط بتنظيم دائم ولا يتبلور حول أهداف محددة بل هو حصيلة عدوى انفعالية تسري بين مجموعة من الأفراد فتسوقهم في اتجاه واحد ينتهي أثره أو قد يدوم، لأن الانحراف في ذاته هو ظاهرة نفسية تتضمن وحدة في المشاعر ووحدة في السلوك.

2- الاتجاهات النظرية المفسرة للانحراف:

تفسير هذا السلوك تعددت وجهات النظر والآراء تبعا للزاوية التي ينظر منها أصحاب تلك الآراء إلى ظاهرة الانحراف، فمنهم من يأخذ بالتفسير الذاتي (الفردي) للانحراف، محاولا البحث في سبب السلوك الإجرامي في داخل الفرد نفسه بحيث يكون محور الدراسة لديهم من مختلف النواحي: البيولوجية، الفيزيولوجية، النفسية، العقلية...إلخ. ومنهم من يأخذ بالتفسيرات الاجتماعية ويرجع السلوك الانحرافي إلى الظروف الاجتماعية، الاقتصادية والثقافية...إلخ. بينما تعمد مجموعة أخرى إلى الربط بين الاتجاهين السابقين وتكاملهما في تفسير السلوك الانحرافي، وفيما يلي نتطرق إلى بعض من هذه النظرية التفسيرية:

- **النظرية البيولوجية:**

يعتبر باحثوا هذه الاتجاه أن التكوين البيولوجي للفرد هو بمثابة المحدد الرئيسي للسلوك، فيستعملون مصطلحات كالتركيب الجسماني، بنية الملامح الخاصة...إلخ، لتفسير السلوك الانحرافي.

فالمجرم ينشأ بحتمية بيولوجية، وسلوكه المضاد للمجتمع ينتقل إليه عن طريق الوراثة من أسلافه[5]، هذا ما أوضحه **لمبروزو** (**Lombroso**) الذي يعتبر المؤسسة العلمي لهذا الاتجاه، فلقد قام بوضع نظرية عن المجرم بالفطرة وفكرة الارتداد (العود) التي بناها على أساس أن المجرم ما هو إلا نمط أو نوع معين من أنواع البشر يتميز بملامح عضوية خاصة وسميات خاصة هي نفسها عن الإنسان الأول أو المخلوقات البدائية. حيث وضع **لمبروزو** مجموعة من الخصائص التي يرى أنها تميز الشخص المجرم عن غيره، والتي تتمثل في بعض السمات في الملامح: كالرأس الضخم والملامح غير المستوية والعدوانية.

وهذا يختصر بالقول أن الجريمة كما يراها **لمبروزو**: هي استعداد حيواني موروث يدفع الإنسان إلى ارتكاب الإجرام بحتمية بيولوجية طاغية لا تترك للظروف الاجتماعية والبيئية الحسنة التي يعيشها الشخص أي مجال لتعديل مسيرته الحتمية نحو ارتكاب الجريمة رغم جهود السلطات المختصة لعلاجها والقضاء على أسباب الوقاية منها"[6].

كما أضيفت دراسات أخرى لباحثين أيدوا إلى حد ما المفهوم العضوي للسلوك الإجرامي مثل: **أرنستهوتون EarnestHooten** حيث قام الباحث بسلسلة من الدراسات العلمية المقارنة مستخدما 668 من المجرمين ومقارنتهم بمجموعة أخرى من غير المجرمين، وقد كشف **هوتون** بوجه عام أن المجرمون قد لا يتميزون بصفة انحلالية كالتي ذكرها **لمبروزو**، ولكنهم يتميزون بانحطاطية بيولوجية جسمية، ترجع إلى عامل الوراثة، فهو يرى أن المجرمون يحملون بذور الجريمة والشر، الشيء الذي يضعف قابليتهم على تحقيق التوافق الاجتماعي المطلوب، كما أكد على أنه هناك خصائص مرفولوجية كطول القامة، الوزن...إلخ[7].

ونتيجة للتقدم في مجال علم البيولوجيا فقد حاول بعض الباحثين تفسير السلوك الإجرامي بأنه نتيجة لتلف عضوي في المخ والجهاز العصبي وهو اضطراب وراثي تارة ومرضي تارة أخرى.

ومما سبق نستطيع القول إن الإتجاه البيولوجي هو إتجاه فردي في تفسير السلوك لأن الفرد هو محور الدراسة لديه حيث أن هذا الإتجاه يحاول البحث عن سبب السلوك الإنحرافي في داخل الفرد نفسه.

- **النظرية السيكولوجية:**

يرى البعض أن هذا الاتجاه هو امتداد البيولوجي مع الاختلاف في النظرة إلى المنحرفين سلوكيا، إذ يعتبرهم هذا الاتجاه على أنهم أفراد يجب دراستهم ومعاملتهم كأفراد حيث لا يمكن علاج المنحرف إلا باعتباره شخصا في حد ذاته، على عكس الاتجاه البيولوجي الذي يعتبر المنحرف كإنسان حيواني[8].

وفي إطار هذه النظرية التي يعززها مجموعة من الباحثين على رأسهم عالم النفس النمساوي **فرويدFreud**، فإن ظاهرة الانحرافات الاجتماعية في البشر، تكون نتيجة صراع مستمر في نفوس بعض الأشخاص نتائج عن حالات مرضية نفسية والتي تتمثل في الاختلالات الغريزية والعواطف المنحرفة والأمراض النفسية والتخلف النفسي.

فيرى **Freud** أن "شخصية الفرد تتأثر إلى حد كبير بالعوامل النفسية التي تتكون خلال مرحلة الطفولة، إذ تبقى رواسب هذه المرحلة عالقة بشخصية الفرد وتصبح دافعا لا شعوريا لسلوكه وتصرفاته، فالجريمة تعبير عن طاقة غريزية لم تجد لها مخرجا اجتماعيا، فأدت إلى سلوك لا يتفق والأوضاع التي يسمح بها المجتمع"[9]. أي أن السلوك الإجرامي أو بمعنى آخر الخروج عن القانون، هو في الحقيقة رد فعل انفعالي من الفرد كنتيجة لدوافع فطرية عامة، ورغبات عنيفة خاصة تحتاج إلى الإشباع، بل أنها تلح على الفرد إشباعها. وهذا حسب ثلاثة عناصر وهي:

1- الدوافع ومدى قوته.
2- الوسائل الميسرة لإشباعه سواء كانت عادية أو شاذة.
3- الحالة الانفعالية ومدى شدتها.

وبهذا يظهر الشذوذ الناجم عن عدم القدرة في التحكم بالضغط الحادث من هذا التوتر النفسي[10].

وقد كان أول اتجاه لتفسير السلوك المنحرف الذي ظهر في كتاب "الحدث المنحرف" للطبيب النمساوي **أوجستأكهورن AugustAichhon** الذي كان مدير لإحدى إصلاحيات الأحداث منذ بداية هذا القرن، فحاول تطبيق فرضيات **Freud** على أحداث تلك المؤسسة التي يعمل بها، فوصف **أكهورن** أنواعا مختلفة من الأحداث الجانحين ووضع لكل منهم تفسيرا تحليليا معينا، فهناك: الحدث العصبي، العدواني، الحدث الذي لم يطور ذاته العليا...إلخ. وانتهى إلى القول أن هؤلاء الأحداث تنقصهم القدرة على كبت دوافعهم الغريزية، كما وأن بعضهم يعانون من الحرمان الشديد من العطف في حياتهم[11].

وفي دراسة قام بها الباحث **وليامهيل** لـ 105 من الأحداث الجانحين وعدد مماثل منهم من الأحداث الأسوياء، تبين "أن 91% من الأحداث الجانحين يعانون من اضطرابات شديدة في شخصيتهم، إذ يشعرون بقلق وتعاسة كبيرة بسبب ظروف حياتهم، بينما لا يعاني مثل هذه الأعراض المرضية النفسي سوى 31% من الأحداث الأسوياء"[12].

وكنتيجة لبحثه أصر الباحث على أهمية العلاج المبكر للجانح والبحث في تاريخه الأسري لمعرفة دلالات لتفسير سلوكه الجانح، وكمتابعة لأفكاره قامت عدة دراسات بينت أنه توجد فروق بين الجانحين وغير الجانحين في مختلف نواحي الشخصية وكذلك في الأنماط السلوكية السائدة لدى كل منهم فالجانحين أكثر شعورا بالنقص وأكثر غرقا في أحلام اليقظة وشعورا بالاضطراب الذي كان أهم مصادره القلق على الأسرة والمستقبل والظروف المعيشية.

ويمكننا القول أن نظريات نفسية قد ساهمت في إمكانية فهم الطبيعة الإنسانية بطريقة أفضل وألقت الضوء على السلوك الإنساني بوجه عام والسلوك المنحرف بوجه خاص.

- **النظريات السوسيولوجية:** على عكس النظريات البيولوجية والسيكولوجية التي تفسر الانحراف من المنظور الفردي، فالنظريات السوسيولوجية تفسر الانحراف بالظروف الاجتماعية

والمادية للظاهرة الانحرافية، وهي ذات عدة اتجاهات: جغرافية، اقتصادية، اجتماعية وثقافية...الخ. وفيما يلي نتطرق إلى فهم اتجاهيين أساسيين:

-الاتجاه الاقتصادي:

حاول بعض الباحثين الربط بين الانحراف بالواقع الاقتصادي والظروف الاقتصادية للفرد. ومن أبرز من ربط بينهما العالم **وليامأدريانبونجير**William Adrian Bonger ، حيث ربط بين الرأسمالية والجريمة في المجتمعات التي تأخذ به كنظام اقتصادي فيقول: "أن الميول الأنانية القوية التي يتسم بها النظام الرأسمالي تؤدي إلى ضعف الغريزة الاجتماعية، كما تضعف الميل نحو الأفعال الأنانية وبالتالي نحو الجريمة التي تشكل إحدى صور هذه الأفعال"[13].

كما وضح Bonger أن الظروف المادية وبالتالي المناخ الفكري للبروليتاريا سبب أيضا في عدم ارتقاء المستوى الخلقي لهذه الطبقة، كما أن عمل الأطفال يؤدي بهم إلى الاحتكاك بالأطفال الذين يفسدون أخلاقيتهم وأن ساعات العمل الطويلة على وتيرة واحدة يؤدي إلى الفضاضة لدى من يجبرونها عليه، بالإضافة إلى ذلك فالظروف السكنية السيئة تسهم في انحطاط الحس الأخلاقي، كما يؤدي إلى هذا أيضا الفقر والبطالة[14].

فللفقر آثار هامة على الفرد والأسرة، فسوء الظروف المعيشية والحاجة والبطالة تترك آثار نفسية كالقلق واليأس والثورة والحق على القانون والمجتمع، مما يؤدي إل الشذوذ السلوكي والإدمان على المسكرات والمخدرات.

فأشار **محمد سلامة غباري** في كتابه "**أسباب جنوح الأحداث**": "أن الطفل الذي يجد نفسه من أسرة فقيرة يعاني من حرمان اقتصادي، كما أنه يتعرض لبعض الظروف التي تتميز بها الأسر الفقيرة مما يؤثر على العلاقات الاجتماعية، ويدفعه إلى الشعور بالحرمان المادي الذي قد يغذي اتجاهات ومشاعر خاصة كالشعور بالجسد والحقد والكراهية، بالإضافة إلى مشاعر النقص والقلق، وكل هذا جو مناسب لنمو الاتجاهات العدوانية والسلوك المنحرف"[15].

فالطفل الذي يجد نفسه من أسرة فقيرة يعاني من حرمان اقتصادي، كما أنه يتعرض لبعض الظروف التي تتميز بها الأسر الفقيرة، مما يؤثر على العلاقات الاجتماعية، ويدفعه إلى الشعور بالحرمان المادي الذي قد يُغذي اتجاهات ومشاعر خاصة كالشعور بالجسد والحقد والكراهية، بالإضافة إلى مشاعر النقص والقلق، وكل هذا جوّ مناسب لنمو الاتجاهات العدوانية والسلوك المنحرف.

أيضا يحدث عكس ذلك حسب Bonger حيث أن التفكك الأسري الذي يظهر في فترات الرخاء والرفاهية الاقتصادية يساعد على الانحراف والجريمة، ففي هذه الفترات تكثر الأعمال وتتدفق النقود، وتشتغل النساء فيبتعدون عن المنزل، ويضعف الإشراف على الأطفال مما يدفعهم لسلوك طريق الانحراف دون أن يحس أوليائهم.

-الاتجاه الاجتماعي:

يستخدم أنصار هذا الاتجاه كمحاور أساسية في تفسيرهم للسلوك الإنحرافي، الثقافة والنظام الاجتماعي والعمليات الاجتماعية، وهم يرون أن السبب الذي يرجع إليه السلوك الإنحرافي يتعدى التفسير الفردي ولا يمكن فهمه إلا من خلال دراسة بنية المجتمع ومؤسساته أي بيئة المنحرف أو الجانح بشكلها الواسع، وكيف يمكن أن تؤثر هذه البيئة على بلورة سلوك الفرد بصورة مباشرة أو غير مباشرة والذي قد يدفعه إلى ارتكاب الجريمة أو السلوك المنحرف وحتى بعد تلقيه العقاب العود إليه.

أ-نظرية اللامعيارية:

من رواد هذه النظرية **أيميلدوركايم**Emile Durkheim الذي يرى أن الجريمة ما هي إلا ظاهرة تمتد جذورها وترتبط بالأوضاع الاجتماعية في المجتمع، كما تعبر عن حركة التغيير الاجتماعي ونوعية الثقافة والمستوى الاجتماعية والوضع الحضاري لأفراد ذلك المجتمع، كما يعتقد باستحالة القضاء على هذه الظاهرة والتي لها ارتباطا وظيفيا معينا[16].

كما استخدم **ميرتون**Mertonمفهوم اللامعيارية التي استخدمها **دوركايم** بأن حالة اللامعيارية يمكن أن تنشأ من تعارض الطموحات وانهيار المعايير النظامية وأعاد صياغتها بشكل أوسع وعام حيث "**أن** البني الاجتماعية تمارس ضغطا محددا على أشخاص معينين في المجتمع ليشتركوا في سلوك انحرافي مفضلين ذلك على السلوك الإمتثالي"[17].

عرض **ميرتون** نظريته أولا في مقال بعنوان "البناء الاجتماعي واللامعيارية" عام 1938 وكانت افتراضات نظرية **ميرتون** في اللامعيارية والسلوك الإنحرافي كالآتي[18]:

- تمارس بعض البنى الاجتماعية ضغطا محددا على أشخاص معينين في المجتمع ليمارسوا السلوك غير المتمثل بدلا من السلوك الإمتثالي.
- يمكن اعتبار السلوك الإنحرافي من وجهة نظر علم الاجتماع كدليل (علامة) على الانفصال بين الطموحات المقررة ثقافيا والسبل المنظمة اجتماعيا لتحقيق هذه الطموحات.
- أنماط ردود الفعل للظروف البيئية التي تتجلى لدى الأفراد وهي:

– **الامتثال**: حيث يقبل الأفراد أهداف ومعايير المجتمع المشروعة لتحقيقها.

– **الانعزالية** (**الانسحاب**): عدم قبول أهداف المجتمع ولا وسائله المشروعة لتحقيق هذه الأهداف.

– **التجديد**: الميل إلى رفض وسائل المجتمع للحصول على الأهداف مع أن الفرد يقبل ويقدر الأهداف ذاتها.

– **الطقوسية**: رفض أهداف المجتمع مع عدم انتهاك قواعد هذا المجتمع.

– **التمرد**: حيث يصبح الفرد متحررا من أهداف المجتمع ونظمه ويستبدل بها أهدافه ووسائله الخاصة لتحقيقها.

كما يوضح Merton أن بعض الأفراد يتعرضون بسبب إهمالهم من قبل الجماعة، وكذلك بسبب خصائص معينة في شخصياتهم إلى التوترات الناشئة عن التعارض بين الأهداف الثقافية والوسائل الفعالة لتحقيقها، ويكون هؤلاء الأفراد عرضة للسلوك الإنحرافي.

حيث أن النقص الكبير في التكامل بين الوسائل والغايات في النمط الثقافي وبناء طبقي معين يعملان معا على زيادة تكرار السلوك المضاد للمجتمع في هذه المجتمعات.

ولذا نجد أن بعض الدارسين المهتمين بالإنحراف والجريمة يعتبرون أنه بالغ في التبسيط حيث أنه أدرج مجموعة كبيرة من الأنشطة تحت مقولة السلوك المنحرف دون أن يأخذ في إعتباره وجهة نظر أعضاء المجتمع أنفسهم.

ب-نظرية **الاختلاط التفاضلي**:

أقام عالم الاجتماع الأمريكي **إيدوينسوترلاند**Edwin Sutherlandهذه النظرية على جملة من العناصر مفادها[19]:

- ✓ السلوك الإجرامي غير موروث يكتسبه الإنسان بالتعلم.
- ✓ يتعلم الشخص السلوك الإجرامي عن طريق الاتصال بالآخرين سواء بلغة التخاطب العادية أو عن طريق الإشارة أو التقليد.
- ✓ تتم عملية التعلم بين الأشخاص على درجة متينة من الصلة الشخصية أو على درجة واضحة من الصداقة، فالعلاقة بين هؤلاء الأفراد تكون علاقة أولية مباشرة تختلف درجتها وفقا لمدى تكررها ودوامها وعقدها.
- ✓ وعلى هذا يستبعد دور وسائل الاتصال كالصحف والسينما والتلفزيون...الخ في تعليم السلوك الإنحرافي.
- ✓ تستهدف عملية التعلم المضمون الفكري لاتجاهات ومواقف الجماعة التي يختلط بها الفرد، فيتعلم منها مفاهيمها وتفسيرها للقانون.
- ✓ من ضمن ما يتعلمه الفرد من خلال انتماءه إلى جماعة منحرفة أساليب التخطيط والإعداد لارتكاب جريمة الوسائل اللازمة والمناسبة لتنفيذها.
- ✓ يصبح الفرد مجرما أو منحرفا عندما تتغلب عليه الاتجاهات الدافعة للإجرام ويحدث ذلك لدى الفرد المتفاعل بعمق مع جماعة ينتمون إلى ثقافة مرجعية منحرفة.

✓ للبيئة التنشيئية الاجتماعية دور فعال في اكتساب السلوك الإجرامي وفي تكوين الاتجاهات والميول الخاصة، فهناك بيئات اجتماعية تكسب أفرادها السلوك الإجرامي.

وقد قدمت انتقادات لهذه النظرية حيث أنها عجزت عن تفسير تفاوت الاستجابة بين شخص وآخر من المخالطين للعناصر الإنحرافية فينحرف بعضهم بينما لا ينحرف الكثير منهم كما أنها عجزت عن تفسير جرائم الصدفة والجرائم العاطفية ولكن رغم هذه الانتقادات التي وجهت إليها تعتبر من النظريات الرائدة في تفسير سلوك الإنحرافي.

ج. نظرية الجماعة المرجعية:

تمثل نظرية الجماعة المرجعية أو ما يسمى بنظرية العصبة اتجاها اجتماعيا آخر في تفسير جنوح الأحداث وتتضمن هذه فكرة هذه النظرية، أن الفرد في سن المراهقة يجد في شلة الرفاق أو في العصابة (Gang) مصدرا لتنمية هويته وتعريف ذاته، كما أن الجماعة المرجعية تقدم لأعضائها نفس العوائد التي تقدمها الثقافة الفرعية ويرى بعض العلماء أن هذه الجماعة قد تكون البديل للأسرة في بعض الأحيان لأن الفرد يجد فيها ما يفقده في الأسرة[20].

من أبرز الذين نادوا بهذه النظرية عالم الاجتماع **فريدريكتراشر** Frédéric Thrasher في دراسة ميدانية قام بها حول (1313) عصبة أطفال في ولاية شيكاغو الأمريكية ضمت 25 ألف طفل من الأحداث والشباب توصل إلى[21]:

✓ العصبة تخلق بصورة تلقائية من جماعات اللعب التي ينتمي إليها الأطفال، تتطور وتتحول إلى عصبة جانحة من خلال تجارب الصراعات مع الجماعات الأخرى.

✓ تطور العصبة روح الجسد الواحد والضمير الجماعي فيحمي أفرادها بعضهم البعض.

✓ تعتبر العصبة عامل مهم يسهل لأفرادها ارتكاب السلوك الإجرامي وانتقال أساليب الجريمة فأفرادها يتبادلون الخبرات الإجرامية.

✓ تقدم العصبة لأفرادها ما عجزت الأسرة في تقديمه للجانحين، فالعصبة سدت الفراغ الذي يعانون منه.

وما نجده في هذه النظرية أنها تقترب إلى حد ما مع ما جاءت به نظرية الاختلاط التفاضلي، وتبرز دور عامل الضغط والقهر الاجتماعي الناشئ داخل هذه الجماعة الصغيرة التي تنشأ في بيئة ذات خصائص ملائمة لظهورها كغياب الضبط الأسري.

د. **نظرية المناطق الجانحة:**

لقد عالج الكثير من علماء الاجتماع والجريمة موضوع المجال (الحي)، وأبرز علاقته بالانحراف والجريمة وتقوم غالبية الدراسات على افتراض أساسي، يقول أن الجناح أو السلوك الإجرامي هما حصيلة تفاعل طويل يحدث بين الفرد وبين ظروف بيئته من جهة.

ومن أبرز من تناول هذه النظرية **كليفوردشو**Clifford Shawالذي يؤكد على أن ظاهرة الانحراف الأحداث مرتبطة ارتباطا وثيقا بالبيئة المحيطة بالحدث في حيه، وهذا من خلال ثلاث عناصر: "الوضعية الاقتصادية للسكان، الحراك الاجتماعي لهؤلاء السكان واختلاط الأجناس العرفية"[22].

فالحي الذي تتوافق قيمه مع قيم المجتمع الكبير يكون حيا سويا، يهيء للحدث جوا يكسبه الشعور بالاحترام والنظام والقانون، أما الحي الذي يخرج عن القيم الاجتماعية المتعارف عليها في المجتمع الكبير الذي يصبح مصدرا لتكوين بعض الاتجاهات الخاطئة التي تقود الحدث إلى الانحراف والجريمة. وقد حاول بعض العلماء وضع عناصر للحي الفاسد وتحديد معالمه التي لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة بتكوين سلوك المنحرف والدفع إلى العود إليه[23]:

1. الحي الفقير المزدحم بسكانه والذي يشيع فيه الفقر والرذائل الاجتماعية كمزاولة البغاء، والمقامرة...الخ.
2. الحي الذي يحمل خليطا سكانيا يجمع بين أفراد غير متجانسين ومن أقليات متعددة.
3. في الأجانب وهو الحي الذي تتخذه أقلية معينة موطنا دائما، ورغم ما يعرف عن تجانس هؤلاء الأفراد الذين يمثلون أقلية واحدة، ولكن هذه الأحياء تنحدر إلى عزلة اجتماعية كبيرة، تشيه فيها الرذيلة والجريمة والجنوح على نطاق واسع، ويكاد يتفق الكثير من العلماء على الدور الكبير الذي

تلعبه تلك العناصر الفاسدة وتأثيرها السلبي على النمو السوي للحدث وعلى نجاح المنظومة العقابية في إصلاحه بعد إنهائه لمدة إصلاحه.

وباختصار فإن هذه النظرية تركز بوجه الخصوص على أهمية الظروف الاقتصادية السيئة التي تتميز بها بعض المناطق الحضرية في المدن الكبيرة بحث تصبح مثل هذه الظروف السيئة عوامل جوهرية تقود إلى معاناة الأفراد وصراعهم لتحقيق طموحاتهم وإلى ارتكاب السلوك الإنحرافي كبديل غير مشروع لتحقيق طموحاتهم المشروعة وعلى العموم فإن هذه النظرية تفترض أن السلوك المنحرف سلوك مكتسب للتعلم في إطار ظروف إيكولوجية ذات خصائص اجتماعية وثقافية واقتصادية تسهل عملية انتقال ثقافي بين أفرادها.

هـ–نظرية الوصم الاجتماعي:

ترتكز هذه النظرية على فرضية أساسية مفادها أن الانحراف ظاهرة غير ثابتة تخضع في تعريفها إلى ردة فعل الجماعة تجاه السلوك، ولذلك يوهم فاعلها بوصمة الانحراف لخروجه على قواعد الجماعة. فالانحراف لا يقوم على نوعية الفعل بل على النتيجة التي ترتبت عليه أو على ما يطلقه الآخرون من صفة على الفاعل، وهناك من يرى أن الانحراف ينشأ عن مجموعة من المواقف والظروف تحدث نتيجة تعارض مصالح الأفراد وتصارع قيم داخل المجتمع.

ويعتبر العالم الأمريكي (**أدوين لمرت** Lemert) من أشهر من يمثل هذه النظرية، حيث يرى أن الانحراف في السلوك بوجه عام هو نتيجة خلل في التنظيم الاجتماعي القائم في أي مجتمع من المجتمعات الإنسانية ويقع على مستويات ثلاثة، فقد يقع على مستوى الفرد نتيجة ضغوط نفسية داخلية تؤثر على السلوك، وقد يقع الانحراف على مستوى الظروف نتيجة التعرض إلى بعض الضغوط البيئية التي لا تترك للفرد مجال للاختيار، أما الانحراف على مستوى التنظيم الاجتماعي فهو الذي يصيح الانحراف فيه أسلوب حياة لمجموعة كبيرة من الأفراد مثل الجريمة المنظمة[24].

ويميز (**لمرت** Lemert) بين نوعين من الانحراف أحدهما أولي وهو الذي يأتيه الفرد مكرها وهو عالم بانحرافه ويشعر بالخوف والتردد، ثم يتطور الأمر إلى مستوى الانحراف الثانوي حيث

يتلاشى الخوف تدريجيا ويصبح الفرد مدركا لنوعية الفعل الذي يقوم به وردة فعل المجتمع تجاهه، ويأتي هذا مع تكرار الانحراف واكتساب الخبرة فيه إلى درجة الاحتراف، وهذا هو النوع الخطير من أنواع الانحراف[25].

ملخص هذه النظرية هو أن الانحراف عملية اجتماعية تقوم بين طرفين أساسيين هما الفعل المنحرف الصادر عن الفرد وردة فعل المجتمع تجاه ذلك الفعل من جهة أخرى، وتعتمد درجة التجريم ووصم المنحرف بصفة الإجرام لا على الفعل نفسه ولكن على مدى ردة فعل الآخرين تجاه ذلك الفعل.

3-التفسير التكاملي للانحراف:

من خلال استعراض الاتجاهات التي تفسر السلوك المنحرف بإرجاعه إلى عامل واحد تبين صعوبة رد هذه الظاهرة إلى عامل واحد ونتيجة لذلك ظهر ما يسمى بالاتجاه التكاملي أو النظرية التكاملية في تفسير الجريمة والانحراف.

ويرى أصحاب هذا الاتجاه أن الانحراف والجنوح ما هوما إلا محصلة مجموعة من العوامل والظروف التي تحيط بالموقف، لأن السلوك يعتبر استجابة لموقف معين يرتبط بالفرد ككائن اجتماعي يعيش في أوساط اجتماعية عديدة: كالأسرة، المدرسة، النادي، المؤسسات المهنية... وغيرها ويتأثر بعوامل متعددة كالعوامل الوراثية، النفسية، الاقتصادية والاجتماعية[26].

وفي ضوء هذا الاتجاه الفكري قام **وليمهيلي**Healy بدراسة لعدد من الأحداث المنحرفين الذين حُولوا إلى معهد بحوث الأحداث بشيكاغو، وقد شملت الدراسة الأساس الاجتماعي كل حالة ودراسة تاريخ تطور نموها وإجراء اختيارات طبية وسيكولوجية، وقد نشر **هيلي** نتائج هذه الدراسة سنة 1915م في كتاب بعنوان "**الفرد الجانح**"، وكان من أهم هذه النتائج تأكيده على تعدد العوامل المسببة للجنوح وترابطها.

كما ذكر العالم الإنجليزي **سيرلبيرت**Burt في كتابه "**الجانح الصغير**" ما يزيد عن 170 عاملا من عوامل الجنوح، وهي تتدرج من الأهم إلى الأقل أهمية حسب حالة كل جانح[27]. هذا يعني وجود عوامل رئيسية ومساعدة على الانحراف بالدرجة الأولى وعوامل ثانوية إلا أنها لا يجب إغفالها.

ويرى العالمين الأمريكيين **شيلدونواليانورجلوك**Sheldon and EleanorGluck الإنسان على أنه وحدة عضوية، نفسية، اجتماعية انعكس ذلك في بحوثها التتبعية، ونتج ذلك إلى إيجاد ثلاثة جداول للتنبؤ بالجنوح، أحدهما يحتوي على عوامل اجتماعية مثل: معاملة الأب ورقابة الأم، واهتمام الوالدين، والترابط الأسري، والثاني خاص بالعوامل النفسية مثل: الرغبة في تأكيد الذات والتحدي، التشكك والميل إلى التخريب، والاندفاعية، بينما يتعلق الجدول الثالث بعوامل الطب العقلية (المتأثرة بالجهاز العضوي) مثل: المخاطرة والانبساط والاستسلام، والتعصب للرأي وعدم الاتزان الانفعالي[28].

ويشير **حسن الساعاتي** في كتابه "**علم الاجتماع الجنائي**" إلى أن بعض العلماء المحدثين بعد الحرب العالمية الثانية اتجهوا اتجاها تكامليا تجتمع فيه كل النظريات والمدارس، والاتجاهات التي تحاول التعرف على أسباب الجريمة وعلى أساس أن ترتكبها هو الإنسان كائن عضوي، نفسي، اجتماعي، أي مكون من أعضاء تؤدي وظائف معينة وفق نفس مفعمة بأحاسيس شعورية أو لا شعورية وسط دوائر بيئية متداخلة ومركبة، وفي إطار ثقافي شامل من القيم والعادات والأعراف والتقاليد[29].

ويؤكد أصحاب هذا الاتجاه على أنه الاتجاه السليم في تفسير السلوك الإجرامي، فتفسير السلوك الإنحرافي لا يجب أن يقتصر على عامل واحد معين سواء كان هذا العامل بيولوجيا أو نفسيا أو اقتصاديا أو اجتماعيا أو غير ذلك. فالتفسير العلمي والمنهجي هو الذي يؤكد على تعدد العوامل التي تؤدي إلى السلوك المنحرف والعود إليه، فكل العوامل مترابطة فيما بينها، فكل عامل يؤثر ويتأثر بالآخر.

2- عوامل الانحراف:

1- العوامل الداخلية:

المقصود بالعوامل الداخلية مجموع الظروف أو الشروط المتصلة بشخص المجرم، وهي قد تكون أصلية تلازم الفرد منذ ولادته ويدخل فيها التكوين الطبيعي للمجرم، والوراثة والخلل العقلي والأمراض العصبية والنفسية، وقد تكون مكتسبة أي يكتسبها الفرد بعد ولادته من الأمراض العضوية والعقلية التي قد تصيبه أثناء فترة حياته وتؤثر هذه العوامل على الفرد ويظهر هذا على تصرفاته في العالم الخارجي. ومن أهم العوامل المتصلة بشخص الحدث عامل الوراثة والتكوين العضوي والعقلي والعامل النفسي وهي مترابطة فيما بينها.

1. الوراثة:

يختلف العلماء إلى يومنا هذا في مدى تأثير عامل الوراثة على الجريمة والقيام بالسلوك المنحرف، حيث أصبح من الأمور الثابتة علميا لدى جميع العلماء في عصرنا الحاضر أن للوراثة دورا ولو إلى حد ما في انتقال بعض الصفات العقلية والنفسية من الآباء إلى الأبناء، وأن هذه الصفات لها أثر في إقدام هؤلاء الأبناء على الجريمة. فالوراثة هي انتقال خصائص معينة من الأموال إلى الفروع في اللحظة التي يتكون فيها الجنين، فهي انتقال للصفات العضوية من السلف إلى الخلف[30].

ومن أجل تبين مدى تأثير الوراثة على سلوك الفرد قام مجموعة من الباحثين بإجراء بعض الدراسات على بعض العائلات، حيث قام الباحث Dugdale في كتابه "The Jukes" سنة 1877 في نيويورك، بدراسة أسرة Max Juke، فتتبع سبع أجيال تسلسل فيها التناسل في هذه الأسرة تبين أنها أنتجت 76 مجرما، 142 متسولا، 128 مومسا، 91 ولدا غير شرعي، 131 من المصابين بالأمراض العقلية والبلهاء[31].

وظهرت اتجاهات جديدة أشارت لأهمية الوراثة إلا أنها وضعت أنه ما يورث هو الاستعداد نحو الفشل سواء كان طبيعيا جسميا أو عقليا أو نفسيا وليس الاستعداد للجريمة بالذات.

ويذهب بعض العلماء إلى القول أن المجرم العائد بسبب العوامل التكوينية (الوراثية) يرتكب جرائمه في الغالب دون أن يكون قصده التكسب منها فهو يقدم على الجريمة لعدم قدرته على ضبط التحكم في دوافعه الداخلية على عكس المجرم العائد لأسباب اجتماعية والذي يعتمد عادة على الجريمة للتكسب ويتخذها حرفة ليعيش من وراءها[32].

وهنا برزت فكرة أن المجرم الحقيقي هو المجرم العائد الذي يتكرر إجرامه، فهو شخص يحمل الاستعداد الإجرامي ولا يستطيع التحكم في دوافعه ويفقد القدرة على العيش السوي كمواطن صالح في مجتمعه، أي أنه لا يمكنه التخلي عن سلوكه المنحرف المورث فيه.

2. التكوين العضوي والعقلي:

يقصد بالتكوين العضوي مجموع الصفات التي تتعلق بالحدث منذ ولادته بالنسبة لشكله الخارجي وتركيبه الحيوي والعضوي. أما التكوين العقلي فيقصد به الأمراض المتنوعة والرضوض المختلفة التي قد تصيب دماغ الإنسان فتحدث اضطرابا في جهازه العقلي واختلالا في قواه الذهنية.

فاختلال أعضاء الجسم قد يجر معه اختلالا في السلوك والعاهات التي تصيب الحدث قد تدفعه إلى الإحساس بالنقص، هذا الشعور الذي قد يتحول إلى نبذ للمجتمع، كذلك النقص العقلي والخلل في القدرة العقلية الناجم عن سوء تكوين خلقي مثل التوقف في النمو العقلي ونقص في الذكاء، كل هذا يدفعه إلى تصرفات غير متوافقة[33].

ويكون النقص في التكوين العضوي نتيجة لاضطرابات في النمو أو لعاهات ونقائص جسمية مختلفة، فالتكوين العضوي يتداخل مع التكوين النفسي ويؤثر الكل على التصرف الخارجي الذي يعكس جميع جوانب الشخصية. نفس الشيء بالنسبة للصحة العقلية فهي أساس الشخصية السوية، فإذا ما اختلفت الصحة العقلية، فهذا يؤدي إلى اضطرابات في الشخصية، مما ينجم عنه من سلوكيات غير متزنة.

وقد أثارت العلاقة بين التكوين العقلي والانحراف انتباه عدد كبير من الباحثين في الولايات المتحدة الأمريكية والذين رأوا أن ثمة ارتباط بين التكوين العقلي والإقدام على ارتكاب الجرائم، فمعظم المجرمين والمنحرفين لديهم نقص في التكوين العقلي ولكن بدرجات متفاوتة.

واختلفت الآراء بين مؤيد ومعارض إلا أن الجميع أجمعوا على أن ضعيف العقل عرضة للتأثير عليه بشكل غير عادي أكثر من غيره من الأسوياء أو العاديين، فهو يتأثر بسهولة بما يحيط به، فهم قابلين للاستهواء بدرجة كبيرة، هذا ما يجعل عامل التكوين العقلي عاملا مهما في بعض الحالات الفردية، فضلا عن كونه عاملا مهيئا للوقوع في الجريمة إلى جانب العوامل النفسية والاجتماعية الأخرى.

كما يرى **شوكا رد**N.P. Chauchard"أن البيئة تؤثر تأثيرا كبيرا على الضعيف عقليا، وبناءا على ذلك إذا كانت البيئة صالحة فإنها يمكن أن تمنع المتخلفين عقليا من الانزلاق في هوة الجريمة والانحراف[34].

3. التكوين النفسي:

التكوين النفسي مجموعة من العوامل الداخلية وتمثل شخصية الحدث والمرض النفسي هو اضطراب باد في تفكير المرء وشعوره وأعماله يكون من الخطورة بدرجة تحول بين المرء والقيام بوظيفته في المجتمع بطريقة سوية"[35].

فالأمراض النفسية كثيرة منها: القلق والوسواس، الهستريا، النورستانيا، وأيضا السيكوباتية، وتنتج نتيجة نشأة الحدث في بيئة لا يجد فيها العطف والشفقة اللازمين للتنشئة النفسية، ويتصف الشخص السيكوباتي عادة بعجزه عن ضبط غرائزه وعدم تلاؤم شخصيته مع القيم الاجتماعية، واتصافه بالأنانية المفرطة، وعدم قدرته على التكيف الوظيفي، كل هذا يدفعه إلى ارتكاب الجرائم تحت تأثيرها في شخصيته من تكوين شاذ وغير مألوف.

فقد أثبتت بعض الدراسات أنه توجد فروقات بين من يقومون بسلوكات منحرفة والأسوياء في مختلف النواحي الشخصية وكذلك في الأنماط السلوكية، فالمنحرفون أكثر شعورا بالنقص وأكثر إغراقا

في أحلام اليقظة وشعورا بالاضطراب الذي كانت أهم مصادره القلق على الأسرة والمنزل وظروف المعيشة وهم أكثر إظهارا لألوان السلوك الاجتماعي المنحرف وأكثر اضطرابا فيها يتعلق بالتوافق العام[36].

2العوامل البيئية الخاصة بالحدث:

هي مجموعة الظروف والعوامل التي تحيط بالفرد في مجال معين وتؤثر في سلوكه وتصرفاته، وهي لا تقتصر فقط على الظروف المادية الملموسة، بل تشمل أيضا الجانب المعنوي للبيئة كالثقافة والأفكار السائدة، فالبيئة تعمل على نقل الأفكار والمعاني المختلفة لظواهر الحياة والتي تؤثر في طريقة تفكير الفرد، فهمه لأمور الحياة، العلاقات بين الناس وتفسيره للظواهر المتعددة، فالفرد في نزاع مستمر مع القوى النابعة منه والمحيطة به، يحاول أن يجد توازنه منذ صغر سنه.

حيث أن الانحراف غالبا ما يكون نتائج البيئة السيئة التي يعيش في ظلها الفرد، فالفساد الذي ينشأ فيه سواء في أسرته أو مدرسته أو رفاقه وغيرها من العوامل الاجتماعية يؤثر سلبا على قيمه السلوكية.

1. **الأسرة:**

إن الأسرة هي المؤسسة الاجتماعية الأولى المسئولة عن تطوير شخصية الطفل من النواحي الجسمانية والاجتماعية والنفسية والعقلية والوجدانية...الخ. فهي الجماعة الإنسانية الأولى التي يحتك بها الطفل وهي بهذا مسئولة عن لإكسابه أنماط السلوك الاجتماعي وكثيرا من مظاهر التوافق وسوء التوافق كما تغرس فيه خلال سنوات طفولته ردود أفعال اتجاه القيم والمعايير[37].

إن دراسات عدة أثبتت الأبحاث أن معظم الأحداث المنحرفين يأتون من أسر مفككة أو منهارة، وبأن الحياة البيئية لهؤلاء الأولاد لم تكن سليمة، ففي دراسة لكل من **شو**Shaw**وماكاي**McKayلمجموعة من المنحرفين بولاية شيكاغو ومقارنتها بمجموعة أخرى ضابطة من الأسوياء من نفس المنطقة والسن، وجد أن 46.5% من المنحرفين جاءوا من أسر متصدعة بالمقارنة بـ 37.1% من غير المنحرفين[38].

التصدع الأسري يحدث اضطرابات عاطفية ونفسية جد معقدة، والتصدع لا يعني الطلاقة فقط بل هو يتعدى ذلك، فتصدع العلاقات الأسرية يشمل النزاع بين الزوجين والأبناء، الطلاق، التفريق بين الأبناء...الخ من التعاملات التي تكسر روابط المودة والأمن والحب في البيت.

وفي دراسة **لحسن الساعاتي** عن العلاقة بين تفكك الأسرة وجناح الأحداث، وهي من أقدم الدراسات في العالم العربي واشتملت الدراسة على 800 حدث جانح ومتشرد من كلا الجنسين، كما اشتملت على عينة ضابطة مماثلة في العدد من أحداث أسوياء وكانت نتائج الدراسة[39]:

- بلغت نسبة الأسر المفككة من أسر الجانحين 67% مقابل 34% من أسر الأسوياء.
- أسباب تفكك الأسر تعود حسب الترتيب للوفاة والطلاق وتعدد الزوجات.
- المستوى الاجتماعي والاقتصادي لأسر الجانحين أقل منه لأسر غير الجانحين.

فالأسرة من أهم المصادر في تحقيق الضبط المباشر وغير المباشر وعزل أطفالها عن التيارات المنحرفة وفشلها في ذلك قد يرجع لعدة أسباب: كجهل الوالدين بأساليب التربية السليمة، وعدم قدرة أحد الوالدين أو كلاهما على تحميل المسؤولية...الخ.

2. المدرسة:

باعتبار المدرسة هي البيئة الثانية التي تحتضن الحدث بعد أسرته، فلها تأثير كبير على شخصيته وسلوكه مستقبلا، فهي المجتمع الأول الذي يصادفه الحدث خارج منزله، بعيدا عن والديه وأفراد أسرته، ففي هذا المجتمع يقضي الحدث الشطر الأكبر من طفولته وصباه وصدر شبابه، ويلتقي فيه بالأشخاص الذين يعبون الدور الأكبر في توجيه وتنمية شخصيته بعد والديه[40].

فالمدرسة تضم نماذج غير محددة من التلاميذ الذين يمثلون بيئات ومستويات اجتماعية مختلفة ونماذج سلوكية متعددة وهنا تلعب المخالطة والمحاكاة دورهما البارز، ويجد المجال فسيحا لكي يرتبط وجدانيا بمن هم أكبر منه سنا، وذلك يمكن القول بوجه الإجمال أن العوامل الأساسية للانحراف داخل المدرسة تمكن إما في الفشل بالدراسة أو في الصحبة السيئة لزملائهم داخل هذه البيئة أو في عدم ملائمة النظام التي تتبعه المدرسة في تربية أبنائها وتهذيبهم[41].

دور النظام المدرسي والذي لابد أن يفرض حدا أدنى من القواعد التي ترجع الحدث إلى الطريق والسلوك السوي. وهذا على أسس التوجيه والإرشاد المبني على العطف ومراعاة صالح التلاميذ وفهم نزعاتهم ودوافعهم الداخلية. فدور المدرسة لا يقتصر على تلقين الحدث العلوم النظرية المختلفة فقط، بل إن دورها يتناول أيضا تلقين الحدث المبادئ الأخلاقية والمثل العليا التي تدفعه إلى التمسك بروح الفضيلة والاندماج في المجتمع الواسع.

3. الرفاق:

يمكن أن نطلق على هذه الجماعة جماعة اللعب، أو الأقران أو الرفاق وهي مؤسسة رئيسية في تنشئة الطفل اجتماعيا بعد خروجه من نطاق عائلته إلى العالم الخارجي. وتعرف هذه الجماعة بالتقارب في ميولاتها وأهدافها وقيمها ومعاييرها، فيلعب الأقران دورا هاما في حياة الصغر بوصفهم عوامل للتنشئة الاجتماعية، حيث يعلم أحدهم الآخر بعض السلوكيات في المواقف الاجتماعية المختلفة. فالطفل يميل إلى تقليد ما يقوم به أقرانهم من سلوكيات، فتأثرهم ببعض جد قوي ولا يمكن إنكاره، ففي حالات يكون هذا التأثير سلبيا وتحت ظل عدم وجود الرقابة الأسرية، إضافة إلى بيئة منحرفة تتحول هذه الجماعة من جماعة رفاق اللعب الساذجة إلى عصبة جانحة تقوم على أساس المغامرة، وتحدي السلطة والاستخفاف بالقيم السائدة[42].

لذا فإن انضمام الطفل إلى بعض الجماعات السلبية أو الفاسدة مثل عصابات السرقة أو المخدرات وغيرها يؤثر سلبا على نظرة الناس إليه وبالتالي على توافقه الاجتماعي.

1. الوضع الاقتصادي:

قد يكون الوضع الاقتصادي عامل مباشر يؤدي للانحراف وذلك لما يتركه من آثار ضارة على نفسية الأحداث، فقد يلجأ البعض إلى السرقات للتعويض عن فقرهم وإشباع حاجاتهم التي لا تتمكن أسرهم الفقيرة من تلبيتها. أو أن يكون تأثيره غير مباشر كأن تؤدي ضائقة مالية إلى الانفصال أو الطلاق أو الهجرة بين الزوجين ، مما يترك آثار سيئة على تربية الأولاد، كذلك من الأمور الملحوظة في هذا العصر أن ينطلق كل من الأب والأم في سبيل الحياة كسبا للعيش، ويترتب على هذا أن يفقد الطفل الرعاية الأسرية له ويترك بدون توجيه، وقد ظهرت وانتشرت هذه الظاهرة

خاصة في المدن، فغياب الأهل وضعف الرقابة على الطفل قد تكون سببا لانحرافه[43].حيث أن عدم إشباع الرغبات والشعور بالمرارة وخيبة الأمل وسائر الصور المماثلة من عدم الاطمئنان الاجتماعي التي يستشعرها الحدث والتي تنبع اساسا من الفقر لا يمكن تجاهلها كعامل من عوامل الانحراف.

نجد أيضا من العوامل الاقتصادية السكن، فقد تلجأ بعض الأسر إلى السكن في أماكن مزدحمة وغير صحية بسبب عجزها المادي، فيضطر لأولاد لترك المنزل واللجوء إلى الشارع أين تصادفهم شتى أنواع الانحرافات[44].

2. وسائل الإعلام:

إن وسائل الإعلام المختلفة قد تكون من العوامل المؤثرة في الأحداث وقد تدفع الكثير منهم إلى السلوك المنحرف، فالصحافة مثلا: بالرغم من أن لها دورا رئيسيا في تهيئة الرأي العام واستثارته لمحاولة التصدي لمشكلة انحراف الأحداث وذلك عن طريق توضيح حجم المشكلة والعوامل التي تؤدي إليها، إلا أن في الوقت نفسه قد تتورط في حث الأحداث على الانحراف دون إدراكها، فنشر بعض الجرائم بتفاصيلها الدقيقية، والتي قد يكون الهدف منها هو إعطاء الصورة الكاملة للجريمة كثيرا ما يعمد البعض من الأحداث وحتى الكبار إلى استخلاص بعض المواقف المتشابهة التي يمكن من خلالها تحقيق بعض المكاسب السريعة ويقوم بمحاكاة المجرم[45].

كذلك الأفلام السينمائية والبرامج التلفزيونية كأحد الوسائل الترفيهية والتي تبين من خلال دراسات لعلماء النفس أنها تبقى تشغل بال الحدث لمدة طويلة بعد انتهاء العرض. ويحاولون تقليد بعض أبطال هذه الروايات يكمن الخطر فيما تقدم برامجنا التلفزية والأفلام من مشاهد الأفلام الخليعة التي قد تؤثر سلبا على خبرات هؤلاء الأحداث فتؤثر الصغار بمشاهدة فيلم ما يفوق تأثر البالغين بذات المشاهد[46].

الخاتمة:

من الصعب أن نحصر تفسير السلوك الانحرافي في نظرية واحدة أو أن نقول أن السبب المؤدي إلى السلوك الانحرافي هو عامل ما، فالعوامل متعددة ومتداخلة وهناك بعض العوامل التي يكون

تأثيرها أكبر من غيرها ولهذا تتعدد التفسيرات لسلوك المنحرف وتختلف النظريات التي قدمت تفسيرات لهذا السلوك الذي يمثل حالة لا توافق مع المجتمع.

يمكن ان نستخلص من ذلك أن انحراف الفرد هو نتيجة تراكم عدة عوامل ابتداء من البيئة الخاصة بالحدث وإلى البيئة الخارجية المحيطة به.

الهوامش:

1القاموس المدرسي.(ط1)،الجزائر:المؤسسة الوطنية للكتاب، سنة 1991، ص65.

2Roymond Bondon et autre: "Dictionnaire de sociologie", Larousse, Paris, 2005, p62.

3Gyl Ferrol et autres. « … ».1991, p 59.

4منير العصرة، "انحراف الأحداث ومشكلة العوامل"،الإسكندرية:المكتب المصري الحديث،1974، ص 26.

5فوزية عبدالستار"مبادئ علم الإجرام وعلم العقاب"، (ط1)، بيروت: دار النهضة العربية، 1985، ص39.

6صالح بن محمد آل رفيعي، مرجع سابق، ص35.

7جعفر علي محمد، مرجع سابق، ص 39.

8السيد علي شتا "علم الاجتماع الجنائي"،المملكة العربية السعودية: دار الإصلاح للطباعة والنشر، 1984، ص 38.

9أكرم نشأة إبراهيم "علم الاجتماع الجنائي"،بغداد: الدار الجامعية، بدون سنة، ص 16.

10عبد العظيم نصر المشيخص، مرجع سابق، ص 25.

11أكرم نشأة إبراهيم "علم النفس الجنائي"،بغداد: الدار الجامعية، بدون سنة، ص 67.

12محمد عارف "الجريمة في المجتمع".(ط1)،مصر: مكتبة الأنجلوالمصرية، 1975، ص 289.

13صالح مصلح "النظريات الاجتماعية المعاصرة وظاهرة الجريمة في البلدان النامية"(ط1)، عمان: مؤسسة الوراقة، سلسلة معاصرة في العلوم الاجتماعية، ص2571

14William Adrian Bonger, Criminality and Economic Conditions, p 532.

15صالح بن محمد آل رفيعي، مرجع سابق، ص 51.

16صالح بن محمد آل رفيعي، مرجع سابق، ص 56.

17عدنان الدوري، "أسباب الجريمة وطبيعة السلوك"،الكويت:ذات السلاسل،1984، ص ص 204– 205.

18صالح مصلح، مرجع سابق، ص 53.

19Jacques Faget,Ibid, pp 43-44.

20عبد الرحمن بن محمد عسري: "النظريات العامة والنماذج النفسية في مجال انحراف الأطفال"، الجزائر: الندوة العلمية للأطفال والانحراف، 12–2008/05/14، ص 12.

21 Jacques Foget, Ibid, p38.
22 Jacques Foget, Op.cit, p40.

23حمد سلامة غباري، مرجع سابق، ص **135–136**.

24عدنان الدوري، مرجع سابق، ص **263**.

25صالح بن محمد آل رفيعي العمري ، مرجع سابق، ص **62**.

26بدر الدين علي "النظريات الحديثة في تسيير السلوك الإجرامي"، الرياض:المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، **1987**، ص **23–24**.

27صالح بن محمد آل رفيعي العمري، مرجع سابق، ص **63**.

28حسن الساعاتي "علم الاجتماع الجنائي".القاهرة:دار النهضة المصرية،**1951**، ص ص **136–137**.
29 صالح بن محمد الرفعي، مرجع سابق، ص **64**.

30مأمون محمد سلامة "مذكرات في المدخل إلى علم الإجرام". القاهرة، **1967**، ص**65**.

31نفس المرجع، ص **30**.

32أحمد حبيب السماك "العود إلى الجريمة". الكويت: ذات السلاسل للطباعة والنشر، **1985**، ص ص **115–116**.

33فوزية عبد الستار، مرجع سابق، ص **116**.

34علي محمد جعفر، مرجع سابق، ص ص **44– 48**.

35منيرة العصره، مرجع سابق، ص **292**.

36سعد المغربي: علم النفس الجنائي، ص **140**.

37رمزية الغريب "العلاقات الإنسانية في حياة الصغير".القاهرة: مكتبة الأنجلومصرية، **1972**، ص **30–31**.

38Jacques Foget, Op.cit, pp 39-42.

39حسن الساعاتي، مرجع سابق،ص**126**
40محمد طلعت عيسى وآخرون: الرعاية الاجتماعية للأحداث المنحرفين، مصر:مكتبة القاهرة الحديثة،د.ت، ص **163**.
41جعفر علي محمد، مرجع سابق، ص **72**.
42السيد رمضان: الجريمة والانحراف من المنظور الاجتماعي، ص **166**.

43جعفر علي محمد، مرجع سابق، ص **65**.

44محمد عارف، مرجع سابق، ص **575**.

45غسان رابح، مرجع سابق، ص ص **141–142**.

46سعد المغربي، أحمد ليثي، مرجع سابق، ص **232**.